الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالهجرة الشرعية

أ.شعاف نادية
أستاذة مساعدة
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا
جامعة الجزائر2-أبو القاسم سعد الله

ملخص:

للاغتراب معاني وتفسيرات عديدة تختلف باختلاف وجهات نظر المفكرين لهذا المفهوم. كما يرتبط هذا الأخير بوعي الإنسان للظروف المختلفة، أهمها الاقتصادية، الثقافية والاجتماعية المحيطة به. فإن حضر الوعي، تفطن الإنسان لما يحيط به من مشاكل تعرقل مسار حياته اليومية وتناقض أهدافه، حاجاته وطموحاته، وبالتالي يعمل جاهدا للبحث عن سبل أخرى بأي طريقة كانت سواء شرعية أو غير شرعية من أجل تحقيق أهدافه، أصبح هذا الإنسان أمام اغتراب إيجابي فهذا النوع أو الشكل من الاغتراب يمثل الدافع أو الحافز لتغيير الوضع الاجتماعي من السيئ إلى الحسن (فالوعي بالاغتراب هو الذي دفع بالإنسان إلى التجديد).

كلمات مفتاحية: الاغتراب؛ الهجرة الشرعية؛ الوعي؛ اللامعيارية.

Résumé :

Le mot aliénation a plusieurs sens et significations qui diffèrent selon les points de vue des penseurs de ce concept. Ce dernier est relié à la conscience de l'individu par rapport aux différentes conditions de vie qui l'entoure quand la conscience s'éveille chez l'individu, ce dernier réalise les problèmes qui peinent son parcours quotidien et qui sont considérés comme contradictoire avec ses ambitions, besoins et objectifs. Cette conscience génère l'idée de trouver d'autres issus légales ou illégales afin d'aboutir à ses fins. Cette situation à laquelle fait face cet individu est appelée aliénation positive.

Dans le ca contraire : Absence de la conscience chez l'individu, ce dernier devient isolé, replié sur lui-même et manifeste une forme de dépression. Il exprime l'insoumission aux valeurs et normes imposées par la société d'une manière propice aux changements. Cette situation est appelée aliénation négative.

مقدمة:

شهد العالم في السنوات الأخيرة تغيرات مذهلة وسريعة نتيجة لثورة المعلومات والاتصالات، الأمر الذي نتج عن هذا التطور والتغير في جميع المجالات شيوع المادية وقصور الجوانب الأخلاقية، وإهمال العلاقات الشخصية والإسراف في الفردية والتنافس وتدهور القيم الراقية (الأخلاقية). وبذلك لم تكن التغيرات التي صاحبت هذا العصر كلها إيجابية، بل كان لها العديد من السلبيات على الإنسان وخاصة في دول العالم الثالث، الذي أصابته عدوى التغيير بشكل سريع ومفاجئ فاق كل التوقعات، إذ نجم عنها الكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية منها الاغتراب الذي يعد حالة ذهنية يشعر بها الفرد بالانفصال النفسي عن ذاته وعن مجتمعه أو عن كليهما معا.

لقد ازداد اهتمام الناقدين خلال النصف الثاني من القرن العشرين بدراسة الاغتراب كظاهرة انتشرت بين الأفراد والمجتمعات المختلفة، ويرجع ذلك إلى ما لهذه الظاهرة من دلالات قد تعبر عن أزمة الإنسان المعاصر، ومعاناته وصراعاته الناتجة عن تلك الفجوة الكبيرة بين تقدم مادي يسير بمعدل هائل السرعة، وتقدم قيمي ومعنوي يسير بمعدل بطيء، الأمر الذي أدى بالإنسان إلى الشعور بعدم الأمن والطمأنينة في حياته. وعلى ذلك يبرز استخدام مفهوم الاغتراب في الموضوعات التي تعالج مشكلات هذا العصر كظاهرة الهجرة السرية.

"يتسم الفرد في مجتمع نام (يحاول مواكبة المجتمعات المتقدمة) بشعوره أنه يعيش في عالم لا يستجيب لرغباته واحتياجاته، كما أنه غير قادر على التنبؤ بالمستقبل، فضلا عن تغيير المعايير التي تنظم سلوكه بسرعة متزايدة، كما يتسم أيضا برفضه للقيم الخاصة بمجتمعه والانعزال عن الآخرين وعن ذاته"[1].

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2003، ص287.

ولما كانت شريعة الشباب الأكثر اكتسابا للقيم والاتجاهات في تفاعلاتهم اليومية والتي قد تتخللها ضغوطات وصراعات يومية مما يمهد لمشاعر الاغتراب لديهم خاصة عندما يتعلق الأمر بمواقف ومعاملات مجهضة لطموحات وأمال وأهداف هؤلاء الشباب.

فالشباب الذين يتعرضون لمواقف إحباطية قد يعانون من مشاعر الاغتراب الذي يؤثر على تكيفهم وإدماجهم الاجتماعيين. وإذا حاول الشباب أثناء تفاعله مع البيئة المحيطة به أن يحصل على حالة إرضاء وإشباع لدوافعه، يستعيد حالة الاتزان والانسجام، وإذا اصطدمت رغبات وطموحات وأهداف الشباب مع نفسه ومجتمعه، فهذا يؤدي إلى خلق عقبات في سبيل إرضاء دوافعهم وحاجاتهم نتيجة لما يلازمه من ضغوطات اجتماعية، كل ذلك قد يؤثر في حدة الشعور بالاغتراب وسوء التكيف مع محيطه الاجتماعي تحت صور من التوتر والقلق والتمرد والصراعات الداخلية التي تتسم بشعوره بأنه يعيش في عالم لا يستجيب لما يريد أن يحققه من رغبات وطموحات وحاجات.

من المتفق عليه أن الاغتراب يؤدي إلى العزلة والانطواء على النفس، إنه بعد من أبعاد الاغتراب الذي يعبر عن التمرد وعدم تقبل قيم ومعايير المجتمع بصفة سلمية لا توحي بالبحث عن البديل. لكن هناك من يعبر عن الجانب الإيجابي للاغتراب حيث أن وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به والمحيطة له بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والتمرد والثورة على الواقع بهدف التغيير، هذا ما يسمى بقهر الاغتراب، معناه للاغتراب وجه متناقض للاغتراب السلبي (الذي يقود إلى الاكتئاب) حيث يكون بمثابة الدافع والحافز للبحث عن سبل أخرى تتماشى وطموحات وحاجيات الشباب. إذن للاغتراب وجهين، وجه سلبي لا يوحي بالتجديد، ووجه إيجابي يعمل على تغيير الأوضاع والوصول إلى حياة أفضل.

من خلال هذا المنطق، هل الهجرة السرية عبارة عن صورة للوجه الإيجابي لمفهوم الاغتراب؟ وعليه بنصب هذا المقال على فحص العلاقة بين الاغتراب الاجتماعي والهجرة السرية لدى فئة من الشباب في المجتمع الجزائري.

أولا – لمحة عن الاغتراب:

تزايدت مشاعر الاغتراب وتعددت نتيجة لطبيعة العصر الذي يعيشه الإنسان، عصر التناقضات، عصر التنافس والتغيرات المتلاحقة، عصر طغت فيه المادة، مما أدى إلى إصابة الإنسان بالكثير من المشاكل التي تعرقل مجرى حياته.

إن ظاهرة الاغتراب تعد جزءً من نسيج الحياة اليومية للإنسان، تنعكس أبعادها في كل نواحي الوجود الاجتماعي والثقافي، وهي "تأتي نتاجا لإكراهات شتى تتمثل في القمع التاريخي والسياسي والأخلاقي والتربوي والاقتصادي".[1]

من الصعب وضع مفهوم جامع وشامل، متفق عليه بين الباحثين، يوحد مصطلح الاغتراب ويوضحه بصورة دقيقة نظرا لاختلاف المذاهب، حيث حدث الكثير من الجدل حول هذا المفهوم.

اتفق معظم الباحثين أن "هيجل" (Hegel) (1770-1831) هو أول من استخدم مصطلح الاغتراب استخداما منهجيا مفصلا، بل ونظر له في كتابه تحت عنوان "فينومينولوجيا الروح" عام (1807) "واستخدمه بعده أدباء كثيرون وفلاسفة متخصصون في مختلف العلوم السلوكية والاجتماعية".[2]

"وقد عرض "محمود رجب" (1988) التاريخ مصطلح الاغتراب والمسار الذي يسلكه هذا المصطلح إلى ما هو عليه الآن من شيوع وانتشار في حياتنا الاجتماعية والثقافية المعاصرة وقسم مسيرة هذا المصطلح إلى ثلاثة مراحل":[3]

1- مرحلة ما قبل هيجل:

يحمل مفهوم الاغتراب معاني مختلفة تكمن في سياقات ثلاث هي:

- السياق القانوني (بمعنى انتقال الملكية من صاحبها وتحولها إلى آخر).
- السياق الديني (بمعنى انفصال الإنسان عن الله).

[1]- علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1998، ص424.

[2]- محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطباعة، الإسكندرية، مصر 2006، ص18.

[3]- محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، مكتبة الأسرة، دار المعارف، القاهرة، 1986، ص ص.76-77.

– السياق النفسي الاجتماعي (بمعنى انتقال الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو سائد في المجتمع).

فهذا السياق الأخير يندرج ضمن موضوع مقالتنا، فاتخاذ قرار الهجرة من طرف الشباب ينحدر من السياق النفسي الاجتماعي لمعنى الاغتراب والذي يتضمن معنى انتقال الإنسان عن ذاته ومخالف لما هو سائد في المجتمع، لأن هذا الأخير لم يحقق أهدافه، رغباته وحاجاته الأساسية، وبالتالي ذهب للبحث عن مجتمع آخر يحقق فيه أحلامه، أهدافه، رغباته وطموحاته.

2- المرحلة الهيجيلية:

على الرغم من استخدام الاغتراب قبل هيجل، فإنه يعد أول من استخدم مصطلح الاغتراب، استخداما منهجيا حتى أطلق على "هيجل" "أبو الاغتراب" حيث تحول الاغتراب عل يديه إلى مصطلح فني.

3- ما بعد هيجل:

بدأت تظهر النظرة الأحادية إلى مصطلح الاغتراب أي التركيز على معنى واحد، هو المعنى السلبي تركيزا طغى على المعنى الإيجابي، حيث اقترن المصطلح في أغلب الأحوال بكل ما يهدد وجود الإنسان وحريته، وأصبح "الاغتراب" وكأنه مرض أصيب به الإنسان الحديث.

من أبرز المفكرين والفلاسفة الذين جاءوا بعد "هيجل" واهتموا بتناول الاغتراب "كارل ماركس" والوجوديون منهم "سارتر"[1]. مع أن الاغتراب السمة السائدة لهذا العصر، وأنه السمة الجوهرية للوجود الإنساني من خلال تغلغله في جوانب الحياة المعاصرة، فإن ما تقدم عنه من آراء وتعريفات لم يسلم من الخلط والتداخل بين أنواعه وأسبابه ومصادره ووجوده ونتائجه السلوكية مما زاد من غموض المصطلح.

لكن على الرغم من هذا التباين والاختلاف في الرأي وأسلوب المعالجة فإن كل المحاولات التي بذلت حتى الآن تدور حول أمور "تشير كلها إلى دخول عناصر معينة في مفهوم الاغتراب، مثل الانسلاخ عن المجتمع والعزلة والانعزال والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء بل أيضا انعدام الشعور بمعنى الحياة"[2].

بناءً على ما سبق ذكره يتبين لنا أن لمصطلح "الاغتراب" استخدامات مختلفة في التراث اللغوي والفكري والسيكولوجي والسوسيولوجي، ولا يوجد اتفاق بين الباحثين في الميدان حول معنى محدد وإجرائي لهذا المفهوم. وعليه سنحاول في العناصر التالية تسليط الضوء على هذا المفهوم بالبحث عن علاقته مع ظاهرة هجرة الشباب.

ثانيا – الاغتراب ومعانيه:

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2003، ص ص.21-22.

[2]- عبد اللطيف محمد خليفة، مرجع سابق، ص ص.22-23.

1- مفهوم الاغتراب:

يشير "محمود رجب" إلى أن كلمة الاغتراب تعنى كما تقول معاجم اللغة العربية على اختلافها، "النزوح عن الوطن أو البعد أو الانفصال عن الآخرين، فهو معنى اجتماعي لا جدال فيه، كذلك هو أن مثل هذا الانفصال لا يمكن أن يتم دون مشاعر نفسية كالخوف والقلق أو الحنين تسببه أو تصاحبه أو تنتج عنه".[1]

ويرى "بودون وف بوريكو" في المعجم النقدي لعلم الاجتماع "أن كلمة (Alienation) تعني الاغتراب أو الاستلاب، وهي ترجع إلى الأصل اللاتيني (Alienatio)، وهي تفسير قانوني (انتقال أو بيع مال أو حق)، وتفسير سيكولوجي (الضعف الفكري العام)، وتفسير علم الاجتماع، يعني انحلال الرابطة بين الفرد والآخرين، وتفسير عيني يعني (انحلال الرابطة بين الفرد والآلهة)".[2]

ويرى "محمد عاطف غيث" في قاموس علم الاجتماع أن مفهوم "الاغتراب" (Alienation) يستخدم الآن في العلوم الاجتماعية بمعاني عديدة، أبرزها ما كتبه "سيمان (Seeman)" في مقال له عن مفهوم الاغتراب، حيث ميّز فيه بين خمسة استخدامات لهذا المصطلح وهي كالآتي:[3]

أ. الشعور بالعجز: والذي يعني شعور الفرد بأنه ليست لديه القدرة على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به.

ب. الشعور باللامعنى: والذي يتضمن عجز الفرد عن الوصول إلى قرار أو معرفة ما ينبغي أن يفعله أو إدراك ما يجب أن يعتقده موجها لسلوكه.

ج. الشعور باللامعيارية: لجوء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة أو غير موافق عليها اجتماعيا لتحقيق أهدافه.

---

[1]- محمود رجب، مرجع سابق، ص41.

[2]- بودون وف بوريكو، العجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1986، ص29.

[3]- عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص21.

د. **العزلة:** ومعناه انعزال أو انفصال الفرد عن تيار الثقافة، وتبني مبادئ أو مفهومات مخالفة، مما يجعله غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة.

هـ. **غربة الذات:** ومعناها إدراك الفرد بأنه أصبح مغتربا حتى عن ذاته.

قد أدى الاهتمام بمصطلح الاغتراب في العلوم الاجتماعية إلى ظهور مفاهيم أخرى لتطابقها أو اقترابها إلى بعض المعاني التي ينطوي عليها هذا المصطلح مثل: "اللامنتمي" أو "الهامشي" و"اللامعياري". كذلك تحويل خصائص وقدرات الإنسان إلى شيء مستقل عنه ومتسلط عليه، أيضا تحويل بعض الظواهر والعلاقات إلى شيء يختلف عما هو عليه في حد ذاته وتشويه علاقاته الفعلية في الحياة في أذهان الناس[1].

يتفق "فرج عبد القادر طه" مع رأي "هيجل" حينما استخدم هذا الأخير مفهوم "الاغتراب" استخداما سيكولوجيا وأوضح أن هناك حالتين للاغتراب وهما:[2]

أ. الاغتراب الإيجابي: وهنا الاغتراب مقبول والذي أسماه بالتخارج وهو تمام المعرف بالذات.

ب. **الاغتراب السلبي:** وهو اغتراب مرحلي يرتبط بالظروف التاريخية وهو نقس المعرفة بالذات.

فالنوع الأول يدل على أن الفرد هو بمعرفة تامة عن ذاته، معناه على أنه على علم بما يريده وما يحتاج إليه وله كامل المعرفة بالأهداف أو الهدف المسطر في حياته، فإن فشل في تحقيق ذاته في المجتمع الذي ينتمي إليه، يبحث عن تحقيق أهدافه في مجتمع آخر]توافق وأفكاره.

بينما النوع الثاني من الاغتراب، نجد أن الفرد في هذه الحالة لا يعرف ذاته، ولا يستطيع أن يحدد ما يريد من المجتمع الذي ينتمي إليه، فيبقى مكتوف الأيدي وينعزل تماما عن الجماعة أو المجتمع، حيث يصبح مكتئب وغير قادر عن فهم ما يدور حوله.

---

[1] -بركات حمزة، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد 29، العدد 3، القاهرة، 1992، ص152.

[2] - فرج عبد القادر، فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح للطباعة والنشر، الكويت، 1993، ص105.

كما يشير "كمال دسوقي" في ذخيرة علم النفس أيضا أن الاغتراب هو "شعور متناسي بالبعد عن الحياة وإحساس بفقدان الأمل والشعور بالتفاهة، أو حالة يشعر الشخص فيها بأن نفسه لا حقيقة لها في الواقع".[1]

ثالثا – مظاهرو أبعاد الاغتراب:

يصنف كينستون أربعة أنماط للاغتراب هي:

أ. الرفض (النبذ) الكوني: وتعني الشعور بفقدان الاتصال بالله والانفصال عنه.

ب. غربة النمو: وتعني أنه أثناء حياته يشعر بفقد روابط وعلاقات لا يمكن إعادتها مثل فقدان العلاقة بين الطفل والأم، وفقدان الإحساس بمركزية الذات.

ج. الخسارة التاريخية: يشير إلى العلاقة بين المكسب والخسارة التي يحققها الفرد من التطورات والتغيرات الاجتماعية التي تطرأ على المجتمع ويجعله يشعر بالاغتراب.

د. غربة الذات: وتعني كما يراه ماركس "الاغتراب عن الذات الناتج عن الاغتراب عن العمل، وتعني انفصال الفرد عن ذاته الفعلية والواقعية".[2]

كما حدد عادل عز الدين الأشول أربعة أبعاد للاغتراب:[3]

أ. العزلة الاجتماعية: ويقصد بها شعور الفرد بالوحدة وعدم الإحساس بالانتماء إلى المجتمع الذي يعيش فيه.

ب. العجز: ويقصد به إحساس الفرد بعدم القدرة على التحكم والتأثير في مجريات الأمور الخاصة به، أو في تشكيل الأحداث والوقائع المحيطة به قد فقدت دلالتها ومعقولياتها.

---

[1] - كمال دسوقي، ذخيرة علوم النفس، الجزء الأول، المجلد الأول، دار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص1333.

[2] - عرفات زيدان خليل، العلاقة بين ممارسة العلاج الاجتماعي النفسي في خدمة الفرد والتخفيف من شعور الاغتراب لدى الفرد الكفيف، رسالة دكتوراه، كلية الخدمة الاجتماعية، القاهرة، 1992، ص ص.34-35.

[3] - عادل عز الدين الأشول، مرجع سابق، ص ص.62-63.

ج. **المعيارية:** ويقصد به شعور الفرد بعدم وجود قيم ومعايير أخلاقية واحدة للموضوع الواحد، بل يمكن أن يجد القيمة ونقيضها في الموضوع الواحد.

د. **التمرد:**س ويقصد به إحساس الفرد بالإحباط والسخط والتشاؤم والرفض لكل ما يحبط في المجتمع من أفراد وجماعات، وتضم ما يرتبط بذلك من رغبة جامحة في هدم أو تدمير وإزالة كل ما هو قائم في الوضع الراهن.

ويتضح من خلال هذا العرض الوجيز لأبعاد ومظاهر الاغتراب، أنه هناك بعدين من هذه الأبعاد في بعد واحد يتمثل في العزلة الاجتماعية التمركز حول الذات وكذلك الرفض والتمرد وفقدان المعنى والتشاؤم.

لكن بعض الكتاب قد ضمن هذه العوامل أو الأبعاد أو المظاهر ضمن جانبين هما: "الاغتراب الذاتي" و"الاغتراب الاجتماعي"، إلا انه لا يمكن الفصل بين الجانب الذاتي والجانب الموضوعي، فكلا الجانبين متداخلين، ووفقا للاتجاه النفسي والاجتماعي، وأن هناك تفاعلا بين الجوانب النفسية والجوانب الاجتماعية للموقف الذي يتواجد فيه الفرد.

لذلك فإن الاغتراب الذاتي يؤدي إلى الاغتراب الاجتماعي والعكس صحيح إذ بغير ذات لا يكون هناك اغتراب، فالذات هي التي تغيرت، وبغير واقع اجتماعي لا يكون هناك اغتراب، ذلك أن الواقع الخارجي هو المجال الذي تمارس عليه الذات اغترابها وتتأثر به وتتفاعل.[1]

إن المقال الحالي والذي يتناول الاغتراب الاجتماعي وعلاقته بالهجرة السرية للشباب الجزائري، قد استقر على عدد من الأبعاد التي تناولت الاغتراب بأبعاده ومظاهره لدى الشباب الجزائري، وكذلك من أسفر عنه التراث السيكولوجي والسوسيولوجي لمفهوم الاغتراب واستخداماته المتعددة، وتم تحديد هذه الأبعاد فيما يلي:

أ. العزلة الاجتماعية

[1]- محمد إبراهيم عبد، دراسة تحليلية للاغتراب وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى الشباب، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين الشمس، 1987، ص ص.125-126.

ب. اللامعنى

ج. التمركز حلو الذات

د. التمرد

هـ. العجز

و. اللامعيارية

ز. التشاؤم

ح. الرفض

من خلال التراث النظري والأدبي لمفهوم الاغتراب والذي تنوع ما بين التراث السيكولوجي، أن هناك اتجاهات نظرية كانت بمثابة علاقات مميزة في مسيرة مصطلح "الاغتراب"، ويمثل كل اتجاه نظرية من النظريات التي تناولت الاغتراب، فيما يلي عرض لأهم هذه الآراء:

1- نظرية هيجل (1770-1831):

لقد كان أول ظهور لمفهوم الاغتراب في الفكر الغربي الحديث في فلسفة (هيجل).

يشير "محمود رجب" إلى المفاهيم التي تبناها (هيجل) في نظريته والتي تتناول قضية الحرية وفقدانها من خلال المراحل الثلاث التي مر بها الغرب:

أ. مرحلة العالم القديم: ويعني به عصر الجمهورية الحرة في اليونان حيث كان البحث عن الحرية السياسية التي ضحى الكثير من أجلها.

ب. مرحلة العصور الوسطى: حيث سلبت الحرية وساد الاستبداد واللاهوات والمسيحية وظهر الاغتراب الديني، أن يكون الإنسان غريبا عن إلهه نتيجة انقطاع الصلة بين الإنسان وخالقه.

ج. مرحلة العالم الحديث: حيث استرد الإنسان حريته بعد الثورة الفرنسية، واستمرار الحرية يعني قهر للاغتراب إلى إرجاع الحرية للإنسان.

ومن ثمة فإن هيجل لم يقف عند الصورة الموضوعية للحرية فحسب، بل إنه يرى أن بلوغ أعلى صورة الحضارة البشرية لا يتحقق إلا في الفلسفة والثقافة، وهي المظاهر البشرية للروح المطلقة، وعليه يؤكد على الحرية التي تصادفها في كثير من الأحيان لدى رجال الفكر الألمان، وهنا نجد أن هيجل يشير إلى نوع آخر من اغتراب الانفصال ويعتبره ضروريا لدعم دينامية المجتمع، إذ يتمثل في انفصال مجالات الحياة الروحية التي تصوغ قوانينها لذاتها والتي لا يكون لأي نظام سياسي سلطان عليها. فالاغتراب هو تلك الحقيقة الوجودية التي يراها هيجل متأصلة في طبيعة الوجود الإنساني في معنين: احدهما إيجابي والآخر سلبي. فالمعنى الإيجابي هو الإبداع أي تخارج الروح على نحو إبداعي، والمعنى الثاني سلبي هو عدم قدرة الذات على التعرف على ذاتها.[1]

ومن الملاحظ أن "هيجل" استعمل الاغتراب بصورة مزدوجة: فهو في بعض معالجاته يستعمله في سياق الانفصال، وفي مواقع أخرى من بحوثه يعطيه معنى التخلي والتنازل[2].

من هذا المنطلق عرف هيجل الاغتراب بأنه حالة العجز الذي يعانيه الإنسان عندما يفقد سيطرته على ممتلكاته فتوظف لصالح غيره بدل أن يسيطر هو عليها لصالحه الخاص، بهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية تلك التي تضمه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته.

نستنتج من خلال هذا العرض الوجيز لنظرية هيجل في الاغتراب، انه عندما تطرق إلى قضية الحرية وفقدانها من خلال المراحل الثلاثة التي مر بها الغرب أن المرحلة الثالثة وهي مرحلة العالم الحديث، يقول فيها أن الإنسان لا يستطيع أن يسترد حريته، معناه قهر الاغتراب، فهذا الأخير يولد لنا المعنى الإيجابي للاغتراب، ففي هذه الحالة يستطيع الشباب أن ينقلبوا على هذا الاغتراب بالبحث عن وسائل لتلبية حاجاتهم وطموحاتهم من أجل الوصول إلى الهدف المنشود. بمعنى آخر إن الشباب يقضون على الانعزال والانطواء عن الحياة الاجتماعية بالتمرد على الوضع الراهن في المجتمع الأم، والحل الوحيد لديهم هو

[1] - محمود رجب، مرجع سابق، ص ص.160-161.

[2] - بركات مختار حمزة، مرجع سبق ذكره، ص155.

الهجرة سواء أكانت سرية أم قانوني من أجل الوصول إلى الأهداف المنشودة. وهذا التمرد والثورة وعدم الانعزال والانطواء يكون بطريقة نستطيع أن نسميها "بالتهميش المضاد" معناه يستعملون طرق غير شرعية، غير قانونية لا تحبذها قيم ومعايير المجتمع، او هي في تناقض تام مع السلك القانوني للمجتمع، وهذه لغة من لغات التمرد والعصيان ضد المجتمع الذي ينتمي إليه.

2- نظرية كارل ماركس (1818-1883):

يقول ماركس أن "ظروف العمل التي أوجدها المجتمع الرأسمالي تؤدي إلى اغتراب العامل، أي لا تعطيه الفرص والإمكانيات الكافية لتحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية التي يسعى من أجلها، فالعامل هو شخص مغترب عن وسائل الإنتاج، طالما أنه لا يحصل على القناعة والسعادة من عمله ولا يحصل على ثمرة جهده وأتعابه".[1]

إذن العامل هو كائن مغترب عن الطبيعة الحقيقية على حد تعبير كارل ماركس وهذا يعني أن تقسيم العمل والتوزيع غير متكافئ للسلطة والأرباح.

وقد صاغ ماركس نظريته حول الاغتراب في مؤلفه "مخطوطات 1844" حيث يقول عن الاغتراب عند العمال قد بدأ في صورتين:

- اغتراب عن ناتج العمل
- اغتراب العمال عن العمل نفسه.

وبتعبير آخر لا ينتمي الإنتاج للعامل، كما أن العامل نفسه لا ينتمي لماهيته الإنسانية، بحيث أن الإنسان لم يعد يشعر بحريته في أفعاله المتعلقة بالعمل وعملية الإنتاج.[2]

الاغتراب حالة تميز شكلا من أشكال المجتمعات ومن الممكن تجاوزها بتغيير الظروف في عالم الواقع وليس في الوعي".[3]

---

[1]- عبد الهادي الجوهري، قاموس الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1983، ص24.

[2]- عبد الهادي الجوهري، مرجع سابق، ص26.

[3]- عادل المختاري الهواري، وسعد عبد العزيز مصلوح، موسوعة العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص48.

ومن هنا نستنتج أن كارل ماركس قد استخدم اصطلاح الاغتراب استخداما سيكولوجيا يتفق ومفهوم الروح المعنوية للعامل والتي تتأثر بمناخ العمل من أشخاص وأدوات ونظم.

3- نظرية ملفين سيمان (Seeman) 1959:

يشير سيمان في مؤلفه "معنى الاغتراب" إلى "أن التكيفات التي قد يؤديها الأفراد بالنسبة للمواقف التي قد لا تتوازى أو لا تتطابق فيها الأهداف والوسائل بصورة جيدة، وهذا هو المعنى الأصلي للاغتراب"[1]. بمعنى اللامعيارية حيث يحدد فيها الفرد الوسائل الغير موافق عليها ثقافيا لتحقيق الأهداف موضوع الاهتمام، ومثل هذا التكثيف يدفع بالناس خارج البناء الاجتماعي للمحيط للبحث عن أو إحضار بناء جديد للوجود.

وفي ضوء هذا الفهم فإن العامل الذي يؤدي عمله من أجل مرتبة فقط يعد مثالا للاغتراب عن الذات: وإن ما يسمى بغربة الذات يشير أساسا إلى عدم قدرة الفرد لأن يجد مكافأة لذاته أو تحقيقها لأن القوة التي تدفع الأهداف إلى العمل وتكسب وجودا محددا هي غاية الإنسان وميله وانفعاله، وذلك لأن تحول أي فكرة إلى فعل ووجود من أجل الرغبة في تأكيد الشخصية وفي إرضاء الذات بتنفيذها ومن ثمة يبذل الجهد في سبيل هدف ما لابد أن يكون ذلك هدف بمعنى من المعاني ولابد من تحقيق الفاعل لهذا الهدف حتى يجد فيه إرضاء له.[2]

ورأي سيمان أن الاغتراب يمكن تفكيكه إلى خمسة (5) عناصر منفصلة وهي: العجز – انتقاد المعنى – انتقاد المعايير – العزلة واغتراب الذات.

4- نظرية إيريك فروم (Eric Fromm) 1961:

[1] - سليفين سيمان، ترجمة علي الشتا، معنى الاغتراب، مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية، 1993، ص111.

[2] - سليفين سيمان، مرجع سابق، ص112.

وظهر اهتمامه بقضية الاغتراب مبكرا فكانت القضية الرئيسية التي دار حولها الجدل في مؤلفه "الهروب من الحرية" وذلك ما يوضحه استخدامه لمفهوم الاغتراب ومشتقاته المتمثلة في فقدان السيطرة وسلب الحرية والتسلطية والتخريب والانعزال.

إن القضية المحورية عنده هي قضية الاغتراب، وأن ألام الإنسان الأساسية ليست متأصلة في الحاجات الغريزية ولكنها كامنة في أحوال معينة للوجود البشري وفي الحاجة لإيجاد الرابطة الجديدة بني الإنسان والطبيعة. إنه يتحدث عن اغتراب الانعزال والوحدة الناجمة عن تحرير الإنسان من روابطه التقليدية وهو ذلك النوع من الاغتراب الذي يوقع الإنسان في حالة من الشك والقلق، الأمر الذي يضفي لدى الإنسان نوع من الاغتراب هو اغتراب الخضوع، حيث يلتمس الفرد به الأمن بخضوعه لقائد أو للدولة ومن ثمة يوقع بنفسه في حبائل اغتراب جديد مصحوب بنشاط لا عقلي وإجباري أو قسري ومن ثمة يترتب على الخضوع ففقدان الإنسان للسيطرة.[1]

يشير مفهوم الاغتراب عند فروم إلى افتقار المغزى الذاتي والجوهري للعمل الذي يؤديه الإنسان وما يصاحبه من شعور بالفخر والرضا بحيث تبدو أعماله روتينية ليست ذات قيمة له، وإذا أدرك الفرد أن نشاطه أصبح شيئا غريبا عنه ولا ينتمي إليه فإن طاقته الشخصية (الجسدية والنفسية) ستغدو هي الأخرى غريبة عنه، وسيعتقد أنه ليس سوى فرد مسخر لإنجاز أعمال أهملت على نحو آخر إنسانيته وجعلته ينظر إلى ذاته على أنه مجرد تابع ثانوي لماكنة آلية الحركة لا نهائية المسار تتحرك بمعزل عن الإنسان ووجوده ووجدانه، وهذا ما يؤدي إلى إخفاق الفرد في تحقيق معيار الذاتية الخاص به ويجعله مغتربا عن ذاته.[2]

[1] - شتا السيد علي، نظرية الاغتراب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، ص ص.141-143.

[2] - علي عبد الكريم سليم، الاغتراب، قراءة في إشكالية المفهوم، مجلة مناهل جامعية، العدد 17، السنة 2، الموصل، العراق، 2006، ص40.

5- تصوردوركايم (Durkheim) للاغتراب (1913):

لقد اهتم دور كايم بقضية العلاقة بين الحرية والضرورة، وعلق عليها بقوله: "أن فهم العلاقة بين الذات والموضوع هو المدخل السليم لفهم العملية الاجتماعية للاغتراب".[1]

اعتمد دور كايم في تفسيره لظاهرة الاغتراب على ضعف المجتمع والذي يشير إلى أن الوقائع الاجتماعية ظواهر عامة تميز مجتمعا وتمارس قهرا خارجيا على الأفراد. إلا أنه عدل موقفه النظري هذا فيما بعد، عندما أشار إلى أن الوقائع الاجتماعية ليست خارجية بالضرورة بالنسبة للفرد وإنما يمكن أن تكمن داخله في صورة الشعور أو الضمير الجمعي.

وإذا كانت تبعية الفرد للضمير الجمعي تشير إلى أن سلوك الفرد يتعين بإرادة المجتمع المحلي وروابط القرابة والطقوسية فقد ترتب على حالة التبعية تلك حالة من الاغتراب في المجتمع الحديث، إذ أن عوامل تطور المجتمع أدت إلى انفصال الفرد عن العوامل التي توجهه بتبعيته، وفي الوقت الذي لم يأتي أي نظام جديد كبديل بنائي يمارس هذا الدور ويؤدي تلك الوظيفة والتي أصبحت تعاني من القلق والاكتئاب.[2]

يجد دور كايم أن حالة الاغتراب التي يعيشها الأفراد بين صراع الولاء للمعايير القديمة والجدية يجعلهم في حالة اغتراب حاد اتجاه واقعهم ممهدا الخطى لانحرافهم لأنهم لا يعرفون وفق أي معايير يسيرون، ولهذا يلاحظ أن كل اضطراب في التوازن يعد دافعا إلى الموت الإرادي والانتحار وهو ما أطلق عليه انتحار الأنومي، حتى وإن كان يحقق راحة أكبر وزيادة في النشاط العام، فالانتحار هنا، حالة قصوى من معاناة مسألة الاغتراب أوصلت صاحبها إلى الموت الإرادي (الانتحار).[3]

فحسب رأي دور كايم لا يمكن للمجتمع أن يصاب باللاتكامل بدون أن بعزل نفسه باستمرار عن الحياة الاجتماعية وبدون أن تصبح أهدافه الخاصة أهم من أهداف المجتمع المحلي الذي ينتمي إليه. فالعزلة هي ضرب من ضروب الاغتراب يشعر فيها الفرد جراء فشله

---

[1]- شتا سيد علي، مرجع سابق، ص83.

[2]- شتا سيد علي، مرجع سابق، ص84.

[3]- جابر سامية محمد، الفكر الاجتماعي (نشأته واتجاهاته وقضاياه، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص226.

في التكيّف مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وحتى الأسرية مما يجعل خطوة العزلة (المرضية) مقدمة للانتحار وهي ما أطلق عليه (انتحار العزلة).

لقد صنف ميرتون خمس نماذج ردود الفعل اتجاه اللامعيارية وهي (التماثل، التجديد، الابتكار، الطقوسية، الانسحابية، التمرد) وعد ثلاثة نماذج كونها منحرفة وهي (التجديد، الابتكار، الانسحابية، التمرد)، أما نموذجي ردود الفعل (التماثل والطقوسية) هما نموذجا للتكيف، فالتماثل حسب رأي ميرتون فإنه نمط التكيّف الأكثر شيوعا إذ يجعل من النظام الاجتماعي ممكنا، إن الأفراد يرتضون الأهداف الثقافية ويعملون من خلال القواعد لتحقيقها ولا يهتمون لمدى الصعوبة التي يمكن أن تسببها الفجوة في الفرص المشروعة وهذا يساعد في توضيح السبب الذي يبقى فيه الكثير من السكان غير مجرمين.[1]

أما نمط التجديد (الابتكار)، أن الفرد يدرك بوضوح التناقض بين القيم والمعايير والسلوكيات الواقعية، فإما أن يختار الالتزام بالمثل أو القيم الاجتماعية المتعلقة بالنجاح مثلا ولا يلتزم بالمعايير المنظمة للتفاعل أو الوسائل المتبعة لتحقيق هذه المثل أو الأهداف فيجدد في وسائل تحقيق الأهداف المرتبطة بالأهداف والمثل، وينتمي المحددون عادة إلى الشرائح الطبقية العليا أو أعلى الطبقة المتوسطة.[2]

"وصفة التجديد (الابتكار) تنطبق على المغتربين ولكن ليس ضمن سياقات الانحراف والجريمة التي وضعها ميرتون وإنما بشكل يتمثل بتجديد الأهداف الثقافية، إذ كانت غير صالحة أو كانت تحمل في طياتها القيم والمعايير المادية ويطالبون بتغيير الوسائل المؤسسية التي تعيق حركتهم في الوصول إلى غايتهم المشروعة".[3]

إذن هو يسعى إلى ابتكار مبادئ وأفكار جديدة كثيرا ما تكون مناقضة للمعايير السائدة في مجتمعه.

---

[1]- إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الاغتراب – التمرد – قلق المستقبل، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2011، ص31.

[2]- ليلى علي وآخرون، الشباب القطري اهتماماته وقضاياه، مؤسسة المعهد، الدوحة، قطر 1991، ص27.

[3]- العكيلي جعفر نجم نصر، الاغتراب لدى حملة الشهادات العليا، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 2000، ص68.

أما الطقوسية تعني بأن الفرد يدرك التناقض القائم في بناء المجتمع ويدرك أيضا أن المجتمع يمتلك من الوسائل ما يقهر بها أفراده، ومن ثم يفرض عليهم التكيف القهري مع مثله، وحتى لا يتعرض للعقاب من قبل المجتمع، فهو يلتزم بإتباع القواعد والمعايير الموصلة لتحقيق الأهداف والمثل، فهو يراعي مقتضيات الشكل فقط وإن لم يكن لديه التزام بالمضمون، وعادة ما تنتمي الخلفية الاجتماعية للطقوسيين إلى المستويات الطبقية الدنيا المتعرضة إلى الحرمان والظلم الاجتماعي.[1]

غير أن النمط الانسحابي يضم الأفراد الذين يدركون التناقض القائم في المجتمع ويعملون على رفضه لأن التناقض يشمل الأهداف والقيم السائدة كونها غير ملائمة مع ما يأمل إليه أو أنها متحيزة للبعض ضد الآخر، وعلى فهم يرفضون الوسائل التي قد تتبع لتحقيق هذه الأهداف، أي أنهم في الغالب لا يلتزمون بما يحدث في المجتمع، ومن ثمة ينسحبون من هذا المجتمع إلى مجتمع آخر خاص، له ثقافة فرعية قد تتحول على المدى البعيد إلى ثقافة مضادة، وعادة ما ينتمي شباب هذا النمط إلى الطبقة المتوسطة، ولديهم إيمان بمثل وقيم خاصة يرونها ظاهرة ونقيّة.[2]

أما نمط التمرد يعني به ميرتون أنهم كالانسحابيين تماما فهم يدركون التناقض الاجتماعي القائم ولا يوافقون عليه ويرفضون القيم والأهداف الاجتماعية ورافضون كذلك للوسائل التي يقدمها المجتمع لتحقيق أهدافه وينظرون إلى الأهداف والمستويات القائمة بأنها تعسفية وغير مميزة بالشرعية، أي أن الأفراد ينظرون إلى النسق النظامي بأنه يشكل حائلا أمام إشباع الأهداف المشروعة أو تحقيقها ومن ثمة يكون الطريق ممهد إلى التمرد بكونه استجابة توافقية لحالة الاغتراب تلك.[3]

إذن نستنتج مما سبق من عرض أفكار هذه النظريات التي تناولت مفهوم الاغتراب، أن العلاقة الاغترابية هي علاقة ذات طرفين، قد تكون بين الشخص وذاته أو بين الشخص

[1]-ليلى وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص28.

[2]- Merton R.K, Social theory and social structure, Prentice Hall, Inc, New York, 1976, pp.176-176.

[3]- Ibid. p.192.

والآخرين أو مجتمعه، لذلك فإن عنصر الإشباع يعد ذا أهمية كبرى إذا ما رجعنا إلى جذور الإحساس بالاغتراب، حيث الصراع من أجل الإشباع ماديا ومعنويا ثم يحرم من هذا الإشباع نتيجة لظروف أو قوى خارجية تحول بينه وبين ما يريده فينشأ الإحباط. وإذا ما تكررت هذه الخبرات الإحباطية التي تنتهي دون الإشباع تتولد مشاعر الاغتراب من الإحساس بالعجز وفقدان معنى الحياة وفقدان المعايير والثوابت والإحساس بالرفض، ثم ينتهي الأمر إما بالتمركز حول الذات والانعزال أو قهر هذا الاغتراب بوسائل غير شرعية أو غير قانونية.

خامسا – أسباب الاغتراب وعوامله:

من أسباب الاغتراب لدى الشباب ما يلي:

1- العوامل الذاتية:

إن عدم تقبل الذات يؤدي إلى وضع أهداف للحياة ومستويات طموح غير منسجمة مع الإمكانيات المتاحة، وفي الحالتين خيبة أمل وضعف ثقة وسوء التكيّف، كما لا تكفي معرفة الذات بل لابد من تقديرها واحترامها وإعطائها قيمة إيجابية وأن يشعر معها الفرد بالرضا الذاتي.[1]

2- العوامل الاجتماعية والثقافية:

أ.أزمة القيم والاغتراب: تنطوي كل ثقافة على قيم تقليدية، هذه القيم هي محور شخصية الفرد وكل تغيّر يهدد هذه القيم، وهذا يعكس إلى حد كبير ما يسمى بأزمة القيم، يتناول المرء عن نفسه كما يرى إريك فروم إزاء استسلامه لقيم المجتمع السائدة وخاصة في المجتمع الصناعي الحديث. إن أزمة القيم تكون في الصراع الذي يكون بين قيم المجتمع الصناعي والقيم التقليدية السائدة في إطار الحياة الثقافية وفي إكراهاتها التي تؤدي إلى هدم تماسكه النفسي.

[1]- سعد المغربي، مرجع سبق ذكره، ص ص.92-93.

فالتغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة اليوم تجعل الإنسان يعيش صدمة ثقافية قيمية بالغة الخطورة والأهمية، وهي التغيرات التي تضع الشباب في مواجهة قيم جديدة غير مألوفة يتوجب عليه تمثلها وبذلك يحدث خلل في تكيف الشباب وانهيارهم.

ومن هنا يمكن القول أن الصراعات القيمية تؤدي إلى أزمة الهوية ووجود، لأن التكامل والانسجام في مستوى النسق القيمي يشكل منطق وحدة الهوية وقانونية تماسكها.

ب. **أزمة الهوية:** إن انهيار إحساس الثقة بالنفس وبالآخر، داخل أنظمة القيم الثقافية وداخل الأنشطة الاجتماعية يترتب عليها ضياع الإحساس بالهوية: الإحساس بالوحدة والتماسك والاستقلال والثقة بالنفس.

إن التشتت وعدم القدرة على تحديد الهوية يثير عند الفرد حالة قلق شديد وذلك أن الفرد في هذه الحالة يكون واقعا تحت تأثير الخوف الشديد من عدم القدرة على التحكم في ذاته أو السيطرة عليها وعلى مستقبله، على أن هذه الحالة ليست موجودة لدى كل المراهقين فهناك من يتخذ قرارًا في مرحلة مبكرة بأنه سيتبع نفس الخط الذي يريده له آباؤه دون أن يشك في هذا القرار لحظة واحدة سواء من حيث ما إذا كان يتفق مع إمكاناته أو لا يتفق.[1]

ج. **التنشئة الاجتماعية:** تعرف التنشئة الاجتماعية بأنها "إعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون كائنا اجتماعيا وعضوا في الفرد، لذلك تكون آثارها هي الأكثر عمقا في شخصية الفرد، فتقرر أن يكون سويا أو منحرفا".[2]

3- العوامل الاجتماعية:

أ. التغير الاجتماعي السريع: شمل هذا التغير نسق البناء الاجتماعي والنسق الثقافي أيضا.

---

[1] - إسماعيل محمد عماد الدين، الطفل من الحمل إلى الرشد، الجزء الأول، دار العلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1996، ص333.

[2] - خير الله عصار، علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص40.

فثقافة المجتمع ليست محصنة ضد التغير والتبدل، لكن يلاحظ أن التغير في الجوانب المادية (الحضارة) هو أسرع بكثير من التغير في الجوانب غير المادية للثقافة.[1]

ب. **التفاوت بين الوسائل والأهداف:** ذلك نتيجة التأكيد الواضح على الأهداف في الوقت لا تكون فيه الوسائل المشروعة متوائمة مع الأهداف ولا تتيح فرصة تحقيقها مما يجعل الفرد يسعى لتحقيق الهدف بغض النظر عن الوسيلة أو السلوك الذي يسلكه للوصول إلى الهدف.[2]

ج. **تأثير القيم وسيادة القيم المادية:** تغيّر القيم يحدث نتيجة التأثر بالثقافات الأخرى أو بسبب محاولة التلاؤم مع مظاهر التغير المادي. فسيادة القيم المادية وارتفاع مستوى الطموحات والرغبة الشديدة لتحقيق النجاح المادي والمعنوي، وهذا يعني ظهور قيم جديدة وتحرير قيم قديمة للتعامل مع أنماط سلوكية جديدة.[3]

من أهم أشكال الاغتراب:

- **الاغتراب الاجتماعي:** إن الاغتراب حالة اجتماعية يشعر بها الإنسان بالبعد عن مجتمعه وجماعته فهو لا ينتمي إلى المجتمع ولا يجب الاختلاط بالناس لما لها في نفسه من عوامل ضياع ذاته الحقيقية وفقدان الشخصية الفردية، لذلك فهو ينشد دائما البعد والسفر للكشف عن نفسه والتعرف إلى ذاته بعيدا عن الناس.

سادسا – الاغتراب والشباب:

تعتبر مشكلة الاغتراب الاجتماعي من أهم المشاكل الاجتماعية التي تواجه أفراد المجتمع في الوقت الراهن وخصوصا فئة الشباب التي تعد من أهم فئاته.

ويرتبط الاغتراب بمتغيرات المجتمع الذي ينشأ فيه، لذلك يمكن القول أن كل مجتمع له مشاكله الاجتماعية التي تساهم في ظهور هذه المشكلة.

---

[1] - التير مصطفى عمر، الغش في الامتحانات كمظهر من مظاهر اللامعيارية في المجتمع، مجلة الفكر العربي، عدد 95، 1999، ص141.

[2] - شتا سيد علي، الانحراف الاجتماعي، مكتبة الإشعاع، ط1، مصر، 1999، ص183.

[3] - التير مصطفى عمر، مرجع سابق، ص141.

وللاغتراب أنواع ومظاهر متعددة إلا أننا سنقوم بتوضيح الأسباب التي تساهم في تكوين الاغتراب الاجتماعي لدى فئة الشباب ومدى أثر هذه المشكلة أو الظاهرة في بروز مشاكل اجتماعية أخرى.

نجد أن طبيعة الواقع الاجتماعي من أبرز وأهم العوامل التي تساهم في تكوين وتوجيه العلاقات الاجتماعية لأفراد المجتمع، فإذا كان الواقع يعاني من مشاكل عديدة ضمن بنيته الأساسية فإن ذلك سينعكس سلبا على أفراد المجتمع وخاصة الشباب مما يؤدي إلى ظهور ما يسمى بالاغتراب الاجتماعي لديهم كنتيجة طبيعية لمشاكل التفكك الأسري، صراع القيم، عدم وجود توافق بين أهداف الشباب وقيم ومعايير مجتمعهم الذي يؤدي إلى إحباط عمليات التواصل والتفاعل الاجتماعي بين علاقات الأفراد، زيادة عن ارتفاع معدلات البطالة بينهم بسبب عدم قدرة سوق العمل عن استيعاب الأيدي العاملة بالإضافة إلى انخفاض مستوى الدخل الشهري مما يجعلهم يعيشون ضمن حدود الكفاف التي تلبي احتياجاتهم الأساسية فقط. كل ذلك يجعل منهم أفراد غير فاعلين في المجتمع قلقين من المستقبل بسبب العوز (الحاجة) المادي الذي يعتبر من أهم العوامل في إيجاد مفهوم الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب.

بالمقابل نجد أن معاناة الشباب من الاغتراب الاجتماعي يساهم أيضا في إيجاد عدد لا يستهان من المشاكل الاجتماعية التي تعتبر نتيجة حتمية له لأن بهذه الحالة يحاول الإفلات من سيطرة هذا المرض الاجتماعي من خلال لجوء البعض إلى الإدمان على المخدرات كحل سلبي انسحابي للهروب من الواقع الاجتماعي المرير الذي يطاردهم في أشكال علاقاتهم الاجتماعية، كما يؤدي إل انتشار الجريمة والسرقة للتعويض عن الجزء المفقود من الدخل المادي لديهم، وبهذا المعنى أصبحت هذه المشاكل مرتبكة بشكل مباشر بالاغتراب لدى الشباب الذي يدخل في علاقة جدلية مع الواقع الاجتماعي.

يمكن القول أن الاغتراب ظاهرة إنسانية امتد وجودها لتشمل مختلف أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية في معظم الثقافات الإنسانية المعاصرة، تتزايد مشاعر هذا الاغتراب وتعد نتيجة لطبيعة العصر الذي يعيشه الإنسان عصر التناقضات، عصر

التنافس والتغيرات الخاطئة المتلاحقة، عصر طغت فيه المادة مما أدى إلى إصابة الإنسان بالكثير من الاضطرابات والمشاكل الاجتماعية التي جاءت في مقدمتها ظاهرة الاغتراب الاجتماعي بكل تجلياتها.

الخاتمة:

عندما نتحدث عن اغتراب الشباب، فإننا نصنف السمات والخصائص التي تطغى على تصرفاتهم وسلوكياتهم في المجتمع، هذه السمات تتمثل بالعجز وعدم القدرة أو السيطرة على الأحداث، وبالتالي عدم التفاعل والتأثير في المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها، أي أن الفرد يكون عاجزا عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته وغير قادر على توجيه مصيره بالإضافة إلى شعوره بالافتقاد إلى الموجه أو المرشد فيما يتعلق بسلوكه وتصرفاته حتى تطفئ سمة اللامعنى على سلوكه وتصرفاته، ويرى أن الحياة خالية من المعنى وهي تسير وفق منطق غير معقول وهذا ما يدفعه للعيش فيها غير مبال، وفاقدا للواقعية الحياتية وعدم رغبته في الوجود فيها أصلا ولا ننسى هيمنة السلوك اللامعياري عند الشباب المغترب وتجاهل المعايير والقيم الاجتماعية والأخلاقية حيث أن الفرد يشرع لنفسه الوسائل والسبل غير الشرعية من أجل أنجاز الأهداف التي يبتغيها وإن تضاربت وتعارضت مع الأعراف والعادات والتقاليد السائدة.

هذا يعني اهتزاز القيم والمعايير داخل المجتمع بالإضافة إلى الانهيار الذي يلحق بالبناء الاجتماعي واتساع الهوة بين أهداف المجتمع وقدرة الفرد للوصول إليها مما يؤدي إلى استحسان المعاني والمقاصد الغير مرغوب فيها اجتماعيا لتحقيق الأهداف.

كما يعني أن السلوكات والتصرفات لم يعد لها ضوابط معيارية بحيث يصبح الخطأ صوابا وما كان صوابا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية وحجبها عن معايير وقواعد وقوانين المجتمع.

إن اغتراب الشباب في مجتمعهم يعني إحساسهم باللوعة والإقصاء والرفض كنقيض للارتياح والاطمئنان والقبول الاجتماعي، وما يمكن أن نسميه بالعزلة الاجتماعية

وهذا ما يشعرهم بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة والمسؤولة.

إن الشعور باليأس الدائم وعدم الانتماء ولد فيه كراهية لقيم المجتمع ومبادئه الأمر الذي يدفعه إلى تبني أفكار ومعايير مخالفة للتقاليد الاجتماعية ويكون تركيزه متعلقا فقط بالجوانب والدوافع السلبية التي تمثل الاغتراب.

إذن نستنتج أنه عندما يتشكل الوعي يشعر الفرد باغترابه فما هو رد فعله؟

هناك ثلاث احتمالات مبدئية: إما أن ينسحب ويهرب من هذا الواقع ويهاجر إلى مجتمعات أخرى يحاول أن يقدم على علاقات جديدة لحياته في حالة من الانسحاب يسميه البعض الهروب بمعنى عدم العزلة لأن هذه الأخيرة تعبر عن الاغتراب السلبي بينما الهروب والانسحاب هنا يحملان معنى الاغتراب الإيجابي أي البحث عن سبل أفضل من أجل العيش الكريم الذي ينبأ بالرفاهية المادية وراحة البال والاطمئنان عن مستقبل زاهر. إذن معنى الاغتراب هنا أنه بمثابة الحافز والدافع للاجتهاد من أجل تغيير مجرى حياته من خلال التجديد.

أما الحل الثاني الذي يلجأ إليه الشباب هو الخضوع نهائيا والتخلي عن قيمه وأهمية حقوقه في المجتمع وأن يلعب دورا في تغيير الواقع وإما أن يتمرد وأحيانا لا يؤدي إلى نتائج مرضية حيث التمرد الفردي لا يجدي ويكون أحيانا نوعا من الانتحارية، فالشيء الذي يجدي هو التمرد الجماعي لتغيير الواقع ويجب على الشباب تجاوز العجز الذي يعانيه كي يتمرد.

ولتخطي كل هذه العقبات يجدر بالفرد أن يقيم علاقات اجتماعية مع أفراد لهم نفس سماته واهتماماته وطموحاته وحاجاته يتفاعلون مع بعضهم البعض سواء أكان هؤلاء الأفراد من الأسرة أو الجيران أو الأصدقاء من الحي أو خارجه، يتداركون الواقع ويبحثون عن حلول لوضعهم الاغترابي من المجتمع.

إذن التفكير في الهجرة السرية يعد عاملا من عوامل الاغتراب الإيجابي الذي يعبر عن تغيير الواقع بواقع يستجيب لمتطلباتهم وطموحاتهم من أجل النجاح الاجتماعي.

المراجع:

- عبد اللطيف محمود خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
- علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1998.
- محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطباعة، الإسكندرية، مصر، 2006.
- ريتشارد شاخت، ترجمة كمال يوسف حسن، الاغتراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1980.
- عادل الأشول، التغير الاجتماعي واغتراب شباب الجامعة، أكاديمية البحث العلمي، المجالس النوعية للعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1985.
- عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
- بركات حمزة، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد 29، العدد 3، القاهرة، 1992.
- فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح للطباعة والنشر، الكويت، 1993.
- كمال الدسوقي، ذخيرة علم النفس، الجزء الأول، المجلد الأول، دار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.
- سعد المغربي، الإنسان وقضاياه الاجتماعية والنفسية، إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993.
- سعد جلال، في الصحة النفسية الأمراض النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989.

- عرفات زيدان خليل، العلاقة بين ممارسة العلاج الاجتماعية النفسي في خدمة الفرد والتخفيف من شعور الاغتراب لدى الفرد الكفيف، رسالة دكتوراه، كلية الخدمة الاجتماعية، القاهرة، 1992.
- محمد إبراهيم عبد، دراسة تحليلية للاغتراب وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية لدى الشباب، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين الشمس، 1987.
- حصار خير الدين، مبادئ علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996.
- سلفين سيمان، ترجمة علي الشتا، معنى الاغتراب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.
- بودون وبوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- شتا السيد علي، نظرية الاغتراب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.
- علي عبد لكريم سليم، الاغتراب، قراءة في إشكالية المفهوم، مجلة مناهل جامعية، العدد 17، السنة 2، الموصل، العراق، 2006.
- الدروبي محمد، وعي السلوك الكونفورميا وأنظمة الوعي، ط1، دار كنعان، دمشق، سوريا، 2004.
- Merton R.K, Social theory and social structure, the free (2nd ed), press 06, Glencoe, New York, 1963
- لدين وآخرون، الشباب القطري اهتماماته وقضاياه، مؤسسة المعهد، الدوحة قطر، 1991.
- الدوري عدنان، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ج1، ط3، ذات السلاسل للطباعة والنشر الكويت، 1984.

- إقبال محمد رشيد الحمداني، الاغتراب – التمرد – قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2011.
- العكبلي جعفر، الاغتراب لدى حملة الشهادات العليا، رسالة ماجستير كلية الآداب، بغداد، العراق، 2000.
- Merton R.K, Social theory and social structure prentice, Hall, Inc, New York, 1976.
- إدريس عزام، بعض المتغيرات المصاحبة لاغتراب الشباب عن المجتمع الجامعي، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 17، العدد 1، الكويت، 1979.
- بركات حليم أحمد، اغتراب المثقفين العرب، مجلة المستقبل العربي، العدد الأول، 1984.
- الصنائع محمود نون، مفاهيم في الاغتراب، مجلة الشؤون الاجتماعية، 2008.
- شتا سيد علي، الانحراف الاجتماعي، مكتبة الإشعاع، ط1، مصر، 1999.
- لويس كامل مليكة، العلاج السلوكي وتعديل السلوك، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1995.